ستقرأ في تلك الحلقة الكثير من الأفكار المخابراتيه للتجسس خلال الاربعينات والخمسينات عبر عالم اتصالات بيتر رايت العالم البريطاني الذي خدم في وحدة MI5 وحدة إم آي ٥ خاصة بالاستخبارات البريطانية للتجسس على أعداء بريطانيا وكيف تم التغلب على معوقات وضع الميكرفونات في مباني الأعداء وكيف تم التجسس على الشفرة المصرية أيام جمال عبد الناصر

الحلقة الثالثة صائد الجواسيس

بعد عدة أيام من محاضرة الأقفال الشهيرة ذهبت في أول عملية لي .

قضية الرجل الثالث تبرز من جديد».

قال لي هيو وينتربورن . وأم أي ٦ تستجوب أحد ضباطها واسمه فيلبي.

يريدوننا أن نزودهم بالميكروفون.

قابلت كيم فيلبي لوقت قصير جداً في أول زيارة لي إلى مبنى ليكون فيلد عام ١٩٤٩ .

كنت في مكتب كمنغ لبحث عمل براندريت عندما أطل فيلبي برأسه من الباب .

اعتذر فوراً عن إزعاجه لنا .

ولا بأس تفضل يا كيم قال كمنغ بطريقته الودية المعروفة،

يوجد شخص يجب أن تتعرف عليه .

وأوضح كمنغ **بأنني عينت حديثاً مستشاراً علمياً للشؤون الخارجية.**

وصافحني فيلبي بحرارة. كانت التجاعيد تملأ وجهه ولكنه بدا شاباً.

أجل، إنها لجنة براندريت الأمريكيون مهتمون جداً بهذا الموضوع، قال فيلبي .

انجذبت إلى فيلبي بسرعة. كان جذاباً وذا أسلوب مميز،

كما كنا كلانا نعاني من لعثمة مزمنة.

كان **عُيّن لتوه رئيساً لأم أي ٦ في واشنطن،** وودع أصدقاءه في أم أي٥ ،

وأطلعوه على بعض الأفكار قبل سفره.

كان لفيلبي علاقات جيدة بأم أي٥ . أثناء الحرب، وهو واحد من القلة من أم أي ٦ الذين غامروا بهذه العلاقة بدت الزيارة مطابقة لنموذج فيلبي العملي والجاد.

واتضح السبب الحقيقي وراء هذا فيما بعد.

فقد سألني فيلبي عن رأيي بالعلم .

وأوضحت له بأن **المخابرات بحاجة لأن تبدأ بمعاملة الروس كما يعالج العالِم موضوعه - كظاهرة يجب دراستها - بالوسائل التجريبية .**

قلت له **وكلما جربت كلما تعلمت حتى لو سارت الأمور بشكل خاطئ.**

وسأل فيلبي : وماذا عن المصادر ؟.

أوضحت له بأن **الحرب أثبتت بأن**

العلماء يستطيعون حل قضايا المخابرات بدون الحاجة إلى عدد هائل من الأفراد.

ولا شك بأن هناك حاجة ماسة لبعض هؤلاء الأفراد،

ولكن الأهم من ذلك هو استخدام المتوفر بطرق مبتكرة.

وقلت له :

وخذ مثلا البحث العملياتي، مشيراً بذلك إلى **أول برنامج بحث مضاد للغواصات في البحرية** أثناء الحرب، ولقد كان عملاً استثنائياً،

ولكن كل ما عملناه كعلماء هو استخدام إمكانات البحرية بشكل فعال.

بدا فيلبي متشككاً، ولكنه قال إنه سيضع أفكاري هذه في ذهنه عندما يناقش الأمريكيين حول هذا الموضوع حين وصوله إلى واشنطن.

قال لي وسأراك عندما أعود كي أرى إلى أين وصلت. ثم ابتسم باعتزاز وذهب.

بعد سنتين انشق بيرغيس وماكلين كان ذلك قبل وقت قصير من ذكر كمنغ للموضوع، ولكن ما أن جاءت سنة ١٩٥٤ حتى استطعت أن أجمع منه ومن وينتربورن

بعض النتف التي أدركت من خلالها بأن **فيلبي كان يعتبر الشخص الرئيسي المشتبه أنه الرجل الثالث.** المسؤول عن انشقاقهما .

في عام ١٩٥٥ تم فصله من أم أي ٦، رغم أنه لم يعترف بما يدينه . وفي ٢٣ أيلول ١٩٥٥ بعد ثلاثة أسابيع من انضمامي الرسمي لأم أي ٥، تم إعلان **الكتاب الأبيض** المتعلق ببيرغيس وماكلين وهو كتاب طال انتظاره وهجمت علينا الصحافة.

كان اسم فيلبي معروفاً جيداً في قليت ستريت في ذلك الوقت، وكان من الواضح أنها مسألة وقت قبل المناقشة علناً.

وفي تشرين الأول، أبلغت أم أي ٥ وام أي ٦ بأن مسألة **الرجل الثالث** ستُطرح في مجلس العموم عند انعقاده بعد العطلة، وبأن وزارة الخارجية ستقوم بإصدار بيان يتعلق بوضع فيلبي. وقد طلب من أم أي ٦ كتابة مراجعة كاملة للقضية.

كما طُلب فيلبي مرة ثانية للتحقيق. وقد طلبت أم أي ٦ من أم أي ٥ الشعبة ٢١ تزويدها بالتسهيلات لتسجيل التحقيق.

ذهبت أنا وونتربورن بالسيارة إلى أحد بيوت أم أي ٦ قرب ميدان سلوني،

حيث كان مكاناً للتحقيق مع فيلبي. وكانت الغرفة التي اختارتها الأم أي ٦ للتحقيق قليلة الأثاث، مجرد صوفا وبعض الكراسي تحيط بطاولة صغيرة.

وكان هناك أيضاً خزانة جانبية عليها جهاز تلفون .

ولما كان من المهم جداً أن تحصل على أفضل نوعية تسجيل ممكنة، فقد قررنا أن نستخدم ميكروفونا عالي الجودة ب. ب س.

فالحديث من خلال ميكروفون تلفون لا يكون جيداً إلا إذا كان المصدر قريباً جداً.

وهكذا فتحنا مكاناً في الأرضية بجانب الموقدة في الجانب الذي أعتمد الجلوس فيلبي ووضعنا فيه ميكروفونا ورتبّنا وضع مكبر صوت لتكبير إشارة الميكروفون من خلال خط تلفوني يقوم البريد من خلاله بتوصيل الإشارة إلى(مبنى ليكون فيلد).

كان مركز التسجيل مُخبأ وراء باب سري في الطرف الآخر من الممر إلى مطعم أم أي ه، ولا يسمح بالإطلاع عليه إلا لضباط معينين.

وكان بجانب الباب جرس، عرف وينتربورن بنفسه فانفتح الباب بشكل أوتوماتيكي.

وبعد هذا الباب مباشرة باب آخر يقود إلى غرفة واسعة مربعة

حيث يقوم موظفو البريد بكل عمليات التسجيل.

وعندما يتم تسجيل المادة المطلوبة، يمكن للبريد أن يعطيها لموظفي أم أي ه،

ولم يكن يسمح لـ أم أي٥ . بالتسجيل الحي على الخطوط (رغم أنه في بعض المناسبات كانت تتم عمليات مراقبة وتسجيل جيد على البريد، خاصة من قبل وينتربورن ومن قبلي أنا في حالة الأهمية القصوى أو الصعوبات الفنية الاستثنائية).

ويتم تسجيل المكالمات على أجهزة معينة،

بينما يتم تسجيل دورة الميكروفون بواسطة أسطوانات غراموفون خاصة.

وكانت هذه **الغرفة التابعة لأم أي ٥ تسمى برج بابل،**

ثم تسلم هذه التسجيلات لنساء تقوم بحفظها في غرف صغيرة في الممر الرئيسي .

كانت **الفين غريست تدير هذا القسم، وهي امرأة مرعبة** انضمت إلى أم أي ٥ منذ البدايات تقريباً. كانت تدين بولاء مطلق للمؤسس فيرنون كيل، **وما زالت ساخطة على تشرشل لما فعله بهذه المنظمة عند فصل كيل عام ١٩٤٠.** وهي **ترى أن عمل المخابرات انهار منذ ذلك** العام.

رتب وينتربورن أن يكون الإنصات في غرفة مغلقة في الطرف البعيد من الممر.

وهكذا جلسنا ننتظر بدء التحقيق. وفي الواقع ان تسمية ما جرى بأنه تحقيق مجرد مهزلة.

كان أقرب إلى المقابلة الداخلية

دخل فيلبي فحيّاه بطريقة ودية ثلاثة من زملائه السابقين الذين كانوا يعرفونه بشكل جيد.

لقد تعاملوا معه بلطف وألفة. **أولاً ماضيه الشيوعي**، ثم عمله في أم أي ٦ وصداقته هو وغي بيرغيس . تلعثم فيلبي وهو يحتج مؤكداً براءته.

ولكن سماع الأسئلة يقود لإدراك الكذبة الكبيرة.

فكلما تلكأ فيلبي في الإجابة قام أحد سائليه بإرشاده إلى جواب مناسب.

وحسناً، أعتقد أن كذا وكذا يمكن أن يكون تفسيراً معقولاً . فيوافق فيليبي بلهفة وتستمر المقابلة.

وعندما أتضحت هذه الطريقة طلب وينتربورن من كيمنغ الحضور،

فدخل هذا إلى الغرفة والغضب يتطاير من وجهه كالرعد.

استمع لبعض اللحظات وهو يضرب على رجله، قائلاً، **والسفلة! إنهم يبرئونه!».**

وأرسل كيمنغ مذكرة عاجلة إلى **غراهام ميتشيل، رئيس قسم التجسس المضاد** في أم أي ٥ ، يقدم فيها تقويماً حاداً لتبرئة ام أي ٦. ولكنها ذهبت أدراج الرياح.

فبعد عدة أيام أعلن ماكميلان في مجلس العموم براءة فيلبي وأدركت للمرة الأولى انني انضممت إلى عالم غريب يتم فيه دفن الحقائق الواضحة البسيطة وإخفائها.

كان هذا نهجاً دائم التكرار مرات ومرات طوال العشرين سنة اللاحقة .

كانت مقابلة» فيلبي أول تجربة لي مع سلطة أم أي٥ ..

كان **الطابق السابع، في الواقع مجرد جزء من شبكة واسعة من التسهيلات.**
كانت **أهم محطة فيه هي القيادة العليا لوحدة التحقيقات الخاصة في بريد القديس بطرس.**

كان لـ MI5 . عدد من الغرف في الطابق الأول **يديرها المايجور دينمان،**

وهو رجل عسكري تقليدي ذو حس جميل بالنكتة.

وكان عمل دينمان يقتصر على الرقابة المباشرة على الرسائل

ووضع التلفونات المعنية تحت المراقبة.

كما أنه كان يشرف على مختبر أم أيه ٥ للعمليات الفنية المتعلقة بالكتابة السرية.

وكان **لكل مكتب بريد ومقسم في البلاد غرفة وحدة تحقيقات خاصة، تحت إمرة دينمان**

تقوم بمراقبة التلفونات والرسائل،

قمنا فيما بعد بنقل المختبرات إلى مكتب بريد مارتيلشام في سافولك.

وبعد ذلك كان يتم إرسال الرسائل المفتوحة والتي تحتاج إلى مزيد من العناية من بريد القديس بطرس إلى سافولك، بواسطة الدراجة النارية .

كان مكتب دينمان موصولاً بعدد كبير من الطاولات تملأ الغرفة.

وعلى كل طاولة كانت هناك رسائل معنونة إلى اتجاه معين:

رسائل لندن في جانب، وأوروبا في جانب آخر، وفي الجانب الثالث رسائل إلى ومن دول ما وراء الستار الحديدي كان يوجد حوالي عشرين موظفاً فنياً ليقوموا بفتح هذه الرسائل.

وكانوا يضعون الكفوف المطاطية في أيديهم كيلا يتركوا أية بصمات على الرسالة،

ولكل واحد منهم ضوء قوي وبجانبه إبريق ماء يغلي.

كما كانوا يستخدمون أعواد البامبو التقليدية وهي طريقة قديمة ولكنها لا تزال فعالة ومستعملة . يتم إدخال عود البامبو الرفيع جداً من قرنة المُغلّف الذي يتم وضعه على ضوء مبهر.

ومن خلال إدارة العود داخل المُغلّف فإن الرسالة تلتف حول العود ثم تخرج معه من المُغلّف.

أما عندما يكون المُغلّف ذا عنوان مطبوع ، فكانوا أحياناً يلجأون إلى تمزيق المُغلّف فوراً وطبع واحد آخر بدلاً منه. ولكن المُغلّف الذي لم تستطع فتحه طوال مدة عملي دون أن نترك أثراً فهو ذلك الذي يتم لصقه بالشريط اللاصق . وفي هذه الحالة كان على أم أي ه أن تتخذ قرارها إما بفتح الرسالة وتمزيقها، أو بإرسالها وآثار الفتح بادية عليها. وكان يتم تصوير هذه الرسائل بواسطة كميرات الميكروفيلم وإرسالها إلى قسم السجل للحفظ.

وضع دينمان على الحائط ما يعتبره فخراً له واعتزازاً، رسالة ضمن إطار على اللوحة.

كانت مرسلة إلى عضو بارز في الحزب الشيوعي كانت تتم مراقبة بريده بانتظام.

وعندما فتحت الرسالة اكتشف الموظفون الفنيون بأنها تحتوي على رسالة مكتوبة بالآلة الكاتبة، جاء فيها: إلى أم أي ه، إذا فتحتم هذه الرسالة فأنتم سفلة.

أما دينمان فقد اعتبرها رسالة ضائعة، أي أنه لا واجب قانونياً يجبره على إرسالها إلى العنوان المكتوب على المُغلّف

في الواقع، كان دينمان عملياً جداً فيما يتعلق بتصاريح المراقبة.

كان دائم الاستعداد للبدء في عملية مراقبة تلفون أو فتح رسالة قبل أن يصله التصريح بمجرد علمه أن هذا التصريح في الطريق إليه.

كما أن أم أي ٥. كانت على أي حال تستطيع الحصول على شكل من أشكال فحص الرسائل بدون مذكرة رسمية.

فمثلاً كنا نسجل كل ما يرد على المُغلّف مثل المصدر والمرسل وتاريخ الإرسال

دون أن نفتحه بالفعل. وكان دينمان، مثل كل شخص في مكتب البريد

يعرف عن هذا النشاط يشعر بالخوف الشديد إذا ما اكتشف دور البريد في مراقبة التلفونات والرسائل. لم يكن هذا الخوف ينشأ بسبب البريد الخارجي، لأنه يمكن تأخيره.

عدة أيام دون إثارة أية شكوك . بل كان الهم الرئيسي هو أن يصل البريد الداخلي في أقرب وقت ممكن.

كانت **تصريحات المراقبة ضمن مسؤولية نائب المدير العام في أم أي٥** ..

فإذا ما أراد ضابط ما أن يحصل على تصريح بالمراقبة على تلفون أو رسائل،

كان عليه أن يكتب طلباً قصيراً إلى نائب المدير العام، الذي يقوم بدوره بالاتصال بنائب وزير الداخلية لشؤون أم أي ٥.. الذي يقوم بدوره بشرح فيما إذا كان هذا الطلب سيؤدي إلى أية مشاكل. ويقوم وزير الداخلية بتدقيق كافة الطلبات مرة في الشهر.

ومثل مكتب البريد فإن وزارة الداخلية كانت دائماً تبدي حساسية كبيرة إزاء قضايا المراقبة وكانت تسيطر عليها بقوة .

وبالإضافة إلى بريد القديس بطرس كان هناك **دوليس هيل البناء الفيكتوري البشع في شمالي لندن** الذي بدأ عمله في مطلع الخمسينات.

وقد أدار جون تيلر مختبره الصغير لصالح ام آي٥ . وأم أي ٦ في الطابق الأسفل خلف باب كتب عليه، وحدة التحقيقات الخاصة. كانت الغرف معتمة ومزدحمة، وغير مناسبة تماماً للعمل الذي اختيرت من أجله . عندما انضمت إلى أم أي ٥. كان مختبر تيلر مشغولاً بعملية **نفق برلين** .

إذ قام فريق مشترك من أم أي MI6٦ والمخابرات الأمريكية سي آي أيCIA

بحفر نفق تحت القطاع الروسي في برلين في شباط ١٩٥٥،

ووضع أجهزة تنصت على مركز الاتصالات الرئيسي للقيادة العسكرية السوفياتية

وقام موظفو البريد بإنجاز العمليات الكهربائية في هذا النفق.

ولقد حصلت السي آي أي وأم أي ٦ على شرائط هائلة تم جمعها من النفق.

كانت الكمية الهائلة من المعلومات الخام تتدفق بشكل كبير

حتى أربك حجمها مسؤولينا من حيث القدرة على التحليل.

وكان لأم أي ٦ فرع خاص للتحليل أقيم في ايرلزكورت،

وكانوا يقومون بتحليل المعلومات المخابراتية الواردة من النفق

عندما اكتشفوا أن **جورج بليك خان النفق لصالح الروس منذ أكثر من سبع سنوات**.

كما عانى هذا النفق من عدة مشاكل منها **الرطوبة التى كانت تعيق الدوائر الكهربائية** .

وكان مختبر تيلر مشغول أيضاً بإعداد **مشروع للتسهيلات الخاصة باسم «ساب مان»** .

وكان **مصمماً لالتقاط المكالمة الهاتفية دون الاتصال السلكى المباشر**،

بل بمجرد استخدام موجات معينة. وقد نجح هذا المشروع

إلا أنه اقتصر على العمل ضمن مسافات قريبة جداً ..

كما كانوا يعملون في المراحل الأولى لإنتاج **جهاز يدعى «موب»**

ليجعل السلك يقوم بوظيفتين :

بث الصوت الملتقط

واستقبال التيار الكهربائى

كان فى بداية مراحله.

وكان يؤمل أن يؤدي إلى ثورة في عمل أم أي ٦ بإزالة كافة الأسلاك الإضافية

التى كثيراً ما تكشف عملية التنصت والمراقبة.

وقد أمضيت وقتاً طويلاً من سنواتى الأولى فى أم أي ه

وأنا أحدد الخصائص الصحيحة لجهاز موب،

وفى النهاية تم إنتاجه بنجاح وصنع فى مصنع أم أي ٦ فى بورهام وود.

بعد وقت قصير من مقابلة فيلبي بدأت أبحث عن طرق لتحسين وتحديث الطابق السابع.

فقد **أصبحت عملية المراقبة تتبع نموذجاً محدداً.**

إذ يقوم الضابط صاحب القضية بتزويد قسم المراقبة بملخص مكتوب يحدد فيه نوع المعلومات التي يعتقد أنه بالإمكان الحصول عليها من هذه المراقبة.

ثم يقوم موظفو المراقبة بتقسيم المحادثة إلى مقاطع تتناسب وهذا التلخيص.

وعندما بدأت العمل

كانت التسجيلات تحفظ على نوع من الأسطوانات وليس على أشرطة.

وكان يتم التأشير على مكان المكالمة في الأسطوانة .

وإذا ما ورد شيء ذا قيمة في المكالمة تم تحديد مكانه بالطبشور

بحيث يتم إدارة الأسطوانة حسب هذه الإشارة.

كانت هذه الطريقة غير عملية ومضيعة للوقت،

إلا أنها كانت أكثر فعالية من الطريقة التقليدية في التسجيل على الأشرطة.

ان معظم هؤلاء الموظفين جُندوا في أيام فيرنون كيل من المهاجرين الذين لجأوا إلى بريطانيا مع نهاية الحرب العالمية الأولى.

ولقد حولوا الطابق السابع إلى قطعة صغيرة من روسيا القيصرية

كان معظمهم من أعضاء الارستقراطية الروسية، والجيش الأبيض،

الذين كانوا يتحدثون بثقة عن العودة إلى الأرض التي تمت مصادرتها منهم بعد الثورة.

وبالنسبة لهم فإن ال كي جي بي ليست كي جي بي بل مجرد حزب بلشفي

كان معظمهم متدينين، كما أن بعضهم كان يضع الأيقونة في غرفته.

وكانوا مشهورين في المكتب بطبعهم الحاد وعصبيتهم .

أعتبروا أنفسهم فنانين وكانوا يتصرفون بهذه الروح.

أما الضباط المجربون الذين كانوا يسعون إلى توضيح عملية مراقبة ما

فقد كانوا يقتربون من الطابق السابع وهم يرتعشون خوفاً من أن يكونوا سببوا أي ازعاج هناك. كان هذا الجو الصعب حتمياً.

فلقد أمضت هذه النساء سنين طويلة وهن يستمعن يوماً إثر يوم، وساعة إثر ساعة للكلام المبهم الغامض وللمؤامرات التي يحوكها الدبلوماسيون الروس.

إن قضاء الحياة كلها بحثاً عن نتف من المعلومات الاستخبارية من خلال آلاف من الساعات من المحادثات التافهة، كاف لأن يؤدي بأي إنسان إلى حافة الجنون .

كان أول شيء عملته إجراء فحص أذن للنساء اللواتي أصبحن بغالبيتهن كبيرات على المهنة وشجعت اللواتي يفتقدن القدرة الجيدة على السمع العمل في الأعمال ذات الذبذبة العالية مثل مراقبة التلفونات.

كما أعطيت تسجيلات الميكروفونات الدقيقة إلى الضباط الأكثر شباباً،

والتى كانت من أفضلهن أن أورفنج،

التى انضمت إلى فيما بعد كضابط في قسم التجسس المضاد.

تسجيلات الميكروفون صعبة لأنه يكون لديك عادة مصدر واحد لمحادثة متعددة القنوات وقررت أن أصمم جهازاً لتخفيف هذه المشكلة.

فذهبت إلى معرض الكترونيات في أولمبيا

واشتريت آلة تسجيل ذات رأسين.

وكان الرأس الثانى يساعد على تأخير الصوت واحد على الألف من الثانية أو أكثر مما يجعله أكثر وضوحاً.

وفي الواقع كان يعطي صوت ستيريو،

وبالتالي فإن أسوأ الأشرطة أصبحت سهلة السماع .

ووضعت الجهاز في الطابق السابع،

مما جعلني صديقاً مدى الحياة للسيدة غريست.

كان هذا نصري الأول في العلم.

أما تحت الطابق السابع فقد كانت غرفة أم أي ٥ القديمة

لا تزال تهجع في نوم عميق . القسم الذي كان بحاجة ماسة للاهتمام،

ولا يزال يقاوم التحديث بإصرار عجيب،

الشعبة أ. فمنذ الحرب بدأت قدرة شعبة واتشرز وامكانياتها **تتناقص بحكم العدد المتزايد من الدبلوماسيين السوفيات والأقمار الصناعية السوفياتية في شوارع لندن.** وقد انصب اهتمامي الأول على عمل مسح شامل للطريقة التي تعمل بها هذه الشعبة.

وقد رتبت لزيارة واحد من مراكز أم أي ٥ في بيت تابع للمنظمة مخصص لمراقبة واحدة من بوابات السفارات الروسية الرئيسية في حديقة كينغستون غاردن .

كان مركز المراقبة يقع في غرفة درج على السطح،

حيث يجلس مخبران على طرفي الشباك.

كما كان يوجد كاميرا ذات عدسة مقربة مثبتة على حمالة تقوم بتصوير الشارع.

وكان الرجلان مزودين بالإضافة لذلك بمنظارين مكبرين. وقد كانا متعبين.

كان الوقت قريباً من موعد استبدالهما منفضة السجائر مليئة بالأعقاب،

وعلى الطاولة تنتشر أكواب القهوة.

وكلما يخرج دبلوماسي سوفياتي من المدخل يقوم أحد الرجلين بمراقبته بواسطة المنظار. وحالما يتم التأكد من شخصيته يقوم المركز ببث اسمه بواسطة اللاسلكي إلى مركز المراقبة بواسطة أرقام سرية.

كل موظفي السفارة لهم أرقام سرية يتم تداولها بواسطة اللاسلكي.

وكل مخبر أو سيارة ملزم بمتابعة أرقام معينة.

وحال سماعه الرقم يقوم فوراً بمتابعة الشخص المعني بدون الرد على الإشارة اللاسلكية التي تلقاها.

والرجل المراقب لا يدرك فيما إذا كان مراقباً أم لا .

ويقوم الراديو بإصدار خشخشة معينة في حال طلب من سيارة المراقبة التي تقف في شارع ما ملاحقة دبلوماسي غاب عن نظر مركز المراقبة متجهاً نحو الويست إند.

لقد قضى هؤلاء الرجال الذين يعملون في هذا القسم سنوات عديدة في عملهم.

ولطول فترة العمل هذه فإنهم يتذكرون الوجوه بطريقة استثنائية،

ويتعرفون بسهولة على ضباط ال ك ج ب الذين غادروا بريطانيا منذ زمن بعيد.

ولمساعدتهم في ذلك **فقد زود مركز المراقبة بثلاثة ملفات تحتوي على صور وصفات كل رجل مخابرات روسي زار بريطانيا،**

أما أولئك الذين يقيمون في السفارة فتوضع صورهم في إطار بلاستيكي شفاف لسهولة الاستخدام. وإذا ما دخل أو خرج من السفارة وجه غير معروف

يتم تصويره وإرسال هذه الصورة إلى قسم الأبحاث في أم أي ه ،

ومن ثم تبدأ عملية البحث اللانهائية .

كان هذا العمل مملأ ومضجراً يتطلب صبراً كبيراً وتضحية.

كان عملاً حيوياً بكل معنى الكلمة.

فإذا كان قسم السجل مركز العصب بالنسبة لأم أي ه ،

فإن قسم المراقبة والمخبرين أطراف أصابعه.

يجب أن تكون دائماً ممدودة تتحسس أي حركة من حركات العدو.

كان حجم ملفات ضباط المخابرات الروسية نتيجة جهد عشرات السنين في استغلال كل مصدر ممكن صور فيزا المنشقون العملاء المزدوجون أو غيرها.

تطل وجوههم من الصور. **كان معظمهم من ال ك ج ب أو ن ك ف (د) يختفون بملابس الملحق الثقافي (رجل دبلوماسي) أو ببزة الملحق العسكري**. ولم ألبث أن شعرت بدهشة بالغة،

ذلك أن مراكز المراقبة مزودة بصور للدبلوماسيين الروس بالاعتماد بشكل أساسي على جوازات سفرهم الدبلوماسية. وكانت هذه الصور ترسل إلى أم أي ٥.

ولكنها ذات نوعية رديئة أو إنها قديمة بشكل متعمد من الروس **عندما تعمل جوازات سفر هؤلاء الدبلوماسيين لجعل إمكانية تحديد الملامح مسألة صعبة**

اقترحت أن يتم تزويد مراكز المراقبة بصور من نفس اللقطات التي يحصلون عليها.

وهذه الصور بلا شك تكون أوضح من الصور الشخصية الرسمية.

هذا ما تؤكده أيضاً **قضية كلاوس فوخس.**

فعندما **اعترف فوخس** عام ١٩٤٩ بأنه **أفشى معلومات حول الأسلحة النووية**،

كان قد بدأ بالتعاون معنا. وفي محاولة من الأم آي ٥.

للحصول على أسماء المشاركين في المؤامرة عُرض على فوخس صورة جواز سفر هاري غرينغلاس أحد الجواسيس العاملين في مجال الأسلحة النووية. لكن فوخس فشل في التعرف على غرينغلاس من خلال تلك الصورة في حين استطاع التعرف عليه حين عرضت عليه مجموعة الصور الملتقطة له في مواضع مختلفة .

ولسنين عديدة كانت أم أي٥ . تدرك أنه

إذا ما عمل المراقبون والمخبرون البريطانيين من موقع((مبنى ليكون فيلد))

فإنهم **سيتعرضون للمراقبة من داخل البناء ويتم كشفهم من قبل العملاء الروس .**

لذلك كانوا يقيمون في **مبنى مجهول** يتألف من أربع طبقات في **ريجينت بارك**.

وتحتوي القاعة الرئيسية على خارطة كبيرة لشوارع لندن تستعمل لملاحقة العمليات.

وفي منتصف القاعة يوجد مقسم اللاسلكي الذي يقوم بعملية الاتصالات مع المراكز والتنسيق بينها وبين السيارات .

يحتل **مكتب رئيس المخبرين، جيم سكاردون** طابقاً كاملاً.

وسكاردون هذا شرطي سابق أنيق الشكل ويدخن الغليون، وكان محققاً في أم أي ٥. أثناء الحرب، كما كان بعد الحرب محققاً رئيسياً في عدد من القضايا المهمة،

خاصة قضية كلاوس فوخس، كما أنه معتز بنفسه وبقدرته على العمل، وكان بلا شك محبوباً في العمل. إذ كانت لديه أخلاق العمال النقابيين. كان يشعر أن المخبرين يقومون بعمل شاق وصعب للغاية، ولذلك فهم بحاجة للحماية من ضباط التحقيقات في مبنى ليكون فيلد وبشكل أو بآخر كان هذا الشعور صحيحاً.

ولكن سرعان ما أدركت بأن سكاردون لا يواجه الواقع المتجدد في شوارع لندن.

إذا كان واضحاً، بأن الروس خاصة، كانوا يقومون بعمليات تضليل لمنع مراقبة عملائهم.

ومن خلال مراقبتي لنظام العمل بدأت أشك في جدوى عمل المخبرين دون أن يكونوا عرضة بشكل سهل للغاية للمراقبة. ويرجع ذلك بالطبع للتقنيات التي كانوا يستخدمونها

عندما طرحت على سكاردون قضية إعادة صياغة عمل المخبرين،

رفض سكاردون بحث الفكرة. كانت أجهزة أم أي ٥ تتنافس،

وكان سكاردون يعتبر قسمه معقلاً له للحفاظ على سلطته.

إلا أنه في النهاية وافق على أن أقوم أنا وونتربورن بشن عملية مراقبة لاختبار فعالية الأدوات الحالية وتقنيات المراقبة.

وهكذا قسمنا الفريق إلى مجموعتين.

أعطيت **المجموعة الأولى** صورة لضابط في أم آيي٥ . وهوغير معروف من قِبلهم، وطلب منهم متابعته.

أما المجموعة الثانيه فقد أخبرت بالمنطقة التي تعمل فيها المجموعة الأولى.

وطلب منها من الثانية) أن تحدد أفراد المجموعة الأولى

وأن تحدد كذلك الشخص المُراقب. قمنا بهذا التمرين ثلاث مرات

وفي كل مرة كانت المجموعة الثانية تصل إلى التشخيص الصحيح.

وقمنا بتصوير المحاولة الثالثة على فيلم تم عرضه في قيادة المخبرين أمام الجميع.

وقد ساهمت هذه التمارين في إزالة أي شك بأن عمليات المراقبة، كما هي عليه، كانت معرضة لدرجة خطرة إلى التضليل والمراقبة المضادة.

وكخطوة أولى اقترحنا على سكاردون

أن يقوم بتوظيف عدد من النساء. إذ أن عمليات المراقبة الكثيرة تتضمن الجلوس لساعات طويلة في المقاهي والحانات والحدائق العامة لانتظار ومتابعة اللقاءات حال حصولها فرجل وامرأة سيكونان أقل إثارة للشك من رجل واحد أو رجلين.

إلا أن سكاردون عارض الخطة بشدة.

كان يخشى أن تؤدى هذه الإضافات إلى إغراءات تؤثر بشكل عكسي على معنويات رجاله .

قال: ولن تحب الزوجات هذه الطريقة.

. وقاطعه هيو وينتربورن : وماذا لو تبادلوا القبلات وحضن أحدهما الآخر. هذا غطاء جيد أما سكاردون فلم تعجبه الفكرة.

وكان **الإصلاح الثاني الذي نسعى إليه في عمل المخبرين هو توصيل المعلومات.**

إذ **كان تسليم المعلومات لا يتم فوراً بعد الانتهاء من العملية،**

بل يتم ذلك في وقت متأخر من الليل، أو حتى أحياناً في نهاية الأسبوع.

وأشرت إلى سكاردون بأنه ثبت بما لا يدع مجالاً للشك في زمن الحرب

بأن تسليم المعلومات يجب أن يتم فوراً لضمان الدقة.

أما إذا كان هناك أي تأخير فإن الذاكرة تفقد القدرة على استرجاع ما حدث بالضبط وتبدأ بالسرد المنطقي لما حدث .

رد علي سكاردون : إن الشباب يمضون ثماني ساعات وهم يتسكعون في الشوارع ولا يريدون أن يعودوا ليمضوا بقية الوقت في السؤال والجواب طالما أن باستطاعتهم أن يكتبوا التقارير بأنفسهم.

وفي النهاية وافق على أن يتم استدعاء رجاله قبل نهاية مدة وظيفتهم بخمس عشرة دقيقة. ومع ذلك استمر الصراع معه .

أما المخبرون المحمولون في سيارات فكانت لهم مشاكل تختلف.

وقد ذهبت معهم يوماً كاملاً لأخذ فكرة عن عملهم.

كانت سيارات أم أي ٥. من موديلات لا تثير أي شك،

ولكنها كانت مزودة بمحركات ذات صوت عال في كراج أم أي٥ . في باتريس،

ويتم تغيير لونها كل ثلاثة أشهر لإخفاء هويتها.

ولكل سيارة هناك مجموعة من الأرقام يتم تغييرها مرة كل أسبوع.

كان الأمر مضحكاً أن يتم مطاردة السيارات الروسية الدبلوماسية عبر شوارع لندن خارقين المرور ومزودين ببطاقات تعفيهم من المخالفة.

وقد أخبرني سائق سيارتي بفرح غامر كيف كان يلاحق سيارة دبلوماسي روسي من شارع مول حتى قصر بكنغهام في يوم ماطر. ولأمر ما أضطر الدبلوماسي الروسي لأن يدوس الفرامل فكان أن اصطدم سائقي به. وخرج الطرفان من سيارتيهما ليتبادلا الاعتذار بوجوه تخفي ما وراءها.

إن **مهمة المتابعة بالسيارة هي السيطرة على مجموع الشوارع قدر الإمكان.**

أما النجاح فيعتمد في النهاية على توجيهات اللاسلكي من القيادة.

يجب عليهم أن يتنبأوا بخط سير السيارة الروسية اللاحق،

بحيث يتم إبلاغ السيارات في المكان المعني بنقاط المتابعة .

المشكلة الأولى في مراكز المراقبة المحمولة كانت بسيطة جداً.

إذ كانت السيارة تقل ثلاثة رجال، وبما أن معظم الوقت كان يمضي والسيارة واقفة على منعطفات الشوارع أو مقابل المكان المراقب، فقد بدت السيارات مثل الخوازيق.

وهكذا مرة أخرى قمت أنا وونتربورن بدراسة ميدانية.

ذهبنا إلى منطقة نعرف أن المخبرين يعملون فيها.

وخلال نصف ساعة استطعنا تحديد كل السيارات في المنطقة.

كانت إحداها صيداً سهلاً، الرقم غير حديثاً،

ولكن السائق نسي أن يغير الرقمين معاً الخلفي والأمامي).

اقترحت على سكاردون أن يخفض عدد الأفراد في السيارة،

ولكنه أصر إصراراً عجيباً وأخذ : يشرح لي كيف أنه من الجوهري أن يكون العدد ثلاثة أفراد.

وقال باقتناع كامل دون أن يدرك مدى عبثية كلامه :

وهناك السائق، والثاني يتابع الخارطة، والثالث يستخدم اللاسلكي.

ولكن كان هناك مجال لم يكن التقصير فيه نكتة بأي حال من الأحوال، جعلني أشعر بالقلق أكثر من المشاكل السابقة مجتمعة.

فالاتصالات هي أضعف حلقة في عمل أي منظمة استخبارية.

فالمخبرون يقومون ببث واستقبال مئات الرسائل في اليوم بين القيادة والمراكز المختلفة،

وأول شيء يجعل من هذه الاتصالات عرضة للتنصت

أنها لم تكن مطلقاً تستخدم إشارات معروفة –

فالروس قادرون ببساطة شديدة على تحديد اتصالات المخبر عن طريق البحث في الموجات عن الإشارات غير المعروفة.

وكانت أم أي ٦ سيئة في هذا المجال حتى في الخارج.

فلقد ظل الأمر لمدة طويلة معروفاً،

وهو كيفية تحديد موظف أم أي ٦ في السفارة،

الذي يتم عادة بمعرفة من الموظف

الذي يستخدم الخطوط الخارجية غير المرتبطة بالقسم الداخلي للسفارة.

وفيما بعد قامت أم أي٥ . بإحضار نظام معقد للشيفرة يستخدمه المخبر في اتصالاته.

وقد أشرت وقتها - إلى أن هذا لن يغير شيئاً،

طالما أن إشاراتهم ستبقى الآن مميزة حتى عن إشارات الشرطة والأطفائية وسيارات الأسعاف، وهي إشارات ليست لها شيفرة أو كود.

يبدو أنهم لم يكونوا مدركين أن الروس يجمعون معظم معلوماتهم الاستخبارية من حركة الاتصالات نفسها أكثر مما تحتويه هذه الاتصالات من رسائل.

لأن تحليل حركة الاتصالات يخبرهم متى وأين تقوم عملية ملاحقة،

وبمقارنة هذا التحليل بما لديهم من سجلات فإنهم سيعرفون كل ما يريدون معرفته .

عملت جاهداً من أجل القيام بجهد رئيسي نكشف من خلاله:

إذا كان الروس يراقبون بشكل منتظم اتصالات مخبرينا من الناحية النظرية

كان الأمر يبدو مجدياً،

لأن **أي جهاز استقبال**

سيرسل بعضاً من الأمواج

التي يمكن التقاطها من مكان قريب.

وقدمت خطتي من خلال القنوات الصحيحة إلى القيادة العامة

التي تملك:

الجهاز التقني

والقوة البشرية اللازمة لإجراء مثل هذه التجربة.

انتظرت عدة أشهر قبل أن استلم الرد الذي وُصف بأنه الرد المناسب .

كان رأي قيادة الاتصالات الحكومية أن هذا المشروع غير مجد من الناحية التقنية

ومرت سنتان أخريان قبل أن تدرك القيادة العامة وأم آي٥ . **كم كان الخطأ شنيعاً.**

وفي نفس الوقت بقيت دائم القلق . فإذا كانت اتصالات المخبرين مخترقة،

ومهنة المخبر ضعيفة إلى الدرجة التي تحدثنا عنها،

فإن على أم آيه ٥ أن تفترض أن جزءاً رئيسياً من عملها في التجسس المضاد

خلال سنوات عديدة إنما هو نفخ ريح في الرماد.

أو على الأقل أن بعض العمليات التي استخدم فيها المخبرون

تم خرقها مسبقاً من قبل الروس. ولكن أي هذه العمليات وكم عددها ؟؟

كانت شعبة أ٢ الجبهة الأمامية لأم أي ٥ في خنادق الحرب الباردة،

وكنت أنا ووينتربورن نقود عملها.

وكان وينتربورن رفيق سلاح جيد.

فقد خدم في الجيش في الصين واليابان وسيلان وبورما،

قبل أن ينضم إلى أم أي ٥ ،

وكان يتحدث الصينية واليابانية بطلاقة .

إلا أنه كان فيلد مارشال فاشلاً.

كان يخطط عملياته بشكل جيد حتى أدق التفاصيل،

وبشكل معقد أحياناً وتنفذ دائماً بدقة عسكرية،

ومع ذلك لم يكن إنساناً جافاً.

كان يتعامل مع كل عملية بهدف جمع المعلومات الاستخبارية، ويهدف المتعة أيضاً.

ولطالما استمتعنا سوية في العمل.

فقد أمضينا حوالي خمس سنوات كنا خلالها نمارس السطو على أوامر الدولة في لندن،

بينما كان مخبرو الوايت هول المدنيين يتظاهرون بأنهم لا يروننا ..

كنت أنا وونتربورن نلتقي في الرأي بشكل كامل،

فقد كنا نؤمن إيماناً قاطعاً **بالتحديث، فإنه** ينقص كل مستوى من مستويات العمل،

وخاصة في المجال التقني،

وكنت اركز دائماً على الأفكار.

أما هو فقد كان يقوم بدور الغلاف الذي يعطي اقتراحاتي شكلها،

إذ يأخذ منها ما هو منطقي من الناحية العملية ويخطط لكيفية تنفيذها في الواقع.

عندما عملت مع وينتربون لأول مرة كان دائم الحديث عن آخر عملية نفذها لشعبة أ٢ ، وكانت تسمى عملية بارتي بيس كانت عملية نموذجية على طريقته - فهي مزيج من الكمال والحظ الجيد.

فقد علم أحد المسؤولين عن إدارة العملاء في الشعبة ف ٤ ،

من مصدر داخل الحزب الشيوعي البريطاني،

بأن **كافة ملفات عضوية الحزب الشيوعي السرية محفوظة في شقة تعود لأحد أعضاء الحزب الأغنياء في ماي فير.**

طلب من شعبة أ ٢ التخطيط للسطو على الشقة ونسخ الملفات.

هكذا وضعت الشقة تحت المراقبة الكاملة المكثفة من قبل شعبة واتشرز

وفي اللحظة الحاسمة جاء الحظ ليضرب ضربته غير المتوقعة لصالح أم أي٥ ..

فقد اتصلت السيدة المقيمة في الشقة بزوجها الذي كان في عمله آنذاك

تخبره بأنها ستخرج بعد ساعة.

وقالت له بأنها ستترك المفتاح تحت الحصيرة التي أمام الباب.

وخلال عشرين دقيقة من تسجيل المكالمة في(ليكون فيلد)

كنا متواجدين عند الشقة لتطبع شكل المفتاح على المعجون .

تم ترتيب السطو بشكل دقيق في وقت كان فيه أصحاب الشقة يقضون عطلة نهاية الأسبوع في إحدى الضواحي. وهكذا قام وينتربورن

بإرسال فريق من المخبرين لمراقبة أصحاب الشقة فيما إذا قرروا العودة مبكراً إليها.

تم تجهيز أجهزة تصوير الميكروفيلم في **ليسون فيلد** للبدء في نسخ الملفات.

ودخل فريق من شعبة ٢٢ إلى الشقة

وفتحوا أقفال الخزانات التي تحوي ملفات العضوية بطريقتهم.

ثم **صورت** محتويات كل درج من كل خزانة **بواسطة كاميرا بولاروید**.

تم إخراج كل ملف وترقيمه بعناية شديدة بحيث يتم إرجاعه إلى مكانه الصحيح.

وبعد ذلك تم نقل الملفات إلى مبنى ليكون فيلد

ليتم تصويرها حسب الأهمية.

قمنا يومها بتصوير ٥٥ ألف ملف،

وكانت النتيجة مجموعة كبيرة من المعلومات لا تقدر بثمن حول الحزب الشيوعي .

أعطت **عملية بارتي بيس**

لأم أي MI5٥ فرصة كاملة لاختراق الحزب الشيوعي.

كل ملف يحتوي على بيان مكتوب بخط يد العضو

يوضح فيه سبب انضمامه للحزب،

مصحوباً بتفاصيل شخصية كثيرة،

بما فيها وصف دقيق ومفصل لظروف الانضمام،

والخدمة التي قدمها العضو للحزب،

والاتصالات التي يقوم بها داخله.

غير أن الأكثر أهمية من هذا كله

هو أن المواد التي حصلنا عليها بواسطة عملية بارتي بيس

أدت إلى الاستيلاء على ملفات الأعضاء السريين

أو أولئك الذين يخفون هوياتهم حسب رغبتهم أو حسب رغبة الحزب،

ولم تكن غالبية الأعضاء السريين من نفس الجيل من الشيوعيين السريين التقليديين في الثلاثينات الذين تم تجنيدهم للتجسس.

أما هذا الجيل فكان أفراده ينتمون إما إلى حزب العمل،

والحركة النقابية العمالية

وأما موظفين في الخدمة المدنية

أو غيرها من أنواع العمل الحكومي،

وكانوا قد لجأوا إلى هذا المستوى من السرية

بسبب الإجراءات الأمنية المشددة التي اتخذتها حكومة أتلي.

في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية،

احتفظ **الحزب الشيوعي البريطاني** بدعم لا بأس به وخاصة في نقابات العمال،

كنتيجة لتحالفنا مع الاتحاد السوفياتي أثناء الحرب.

كانوا نشيطين جداً في النقاش حول الصناعة،

الأمر الذي آثار رعب **رئيس الوزراء أتلي** في أواخر أيامه.

وفي أواخر الأربعينات بدأت أم أي٥ ، تبذل ما في وسعها المراقبة وتحييد نشاط الحزب الشيوعي البريطاني في حركة نقابات العمال، وما أن جاء عام ١٩٥٥ ،

العام الذي جرت فيه عملية **بارتي بيس**، **حتى كان قد تم اختراق الحزب في كل مستوى من مستوياته بواسطة المراقبة التقنية أو المخبرين كان الحصول على المواد نتيجة وبارتي بيس، التي كانت تشكل قلب إدارة الحزب الشيوعي، آخر إثبات السيادة أم أي٥ .** في فترة ما بعد الحرب.

ثم جاءت المفارقة، إذ قام الاتحاد السوفياتي بعد سنة واحدة بغزو هنغاريا، أما الحزب فقد بدأ يفقد شعبيته ببطء.

وبمجرد حصول أم أي٥ . على وثائق عملية بارتي بيس، فقد الحزب كل إمكانية لتهديد أمن المملكة. فمنذ ذلك اليوم أصبحت أم أي٥ .

قادرة على تحديد أي عضو نشيط، خاصة أولئك السريين، **ومراقبة تحركاتهم،**

ومنعهم من الإطلاع على أي مواد سرية يمكن أن تجر خطراً ما.

وقد وُضعت وثائق بارتي بيس في صناديق خاصة، وبقيت مصدراً كبيراً لمساعدتنا حتى مطلع السبعينات، خاصة عندما بدأ الحزب فيما بعد بإنكار العضوية السرية وبأنه أصبح حزباً علنياً .

عملت لأول مرة ضد الحزب الشيوعي البريطاني في أواخر الخمسينات،

عندما قمت أنا وونتربورن بوضع ميكروفون آخر في قيادة الحزب الفرع كنغ ستريت،

وكان الحزب يعرف أن مبناه موضوع تحت المراقبة الفنية الدائمة،

فأخذ يغير بانتظام مكان الاجتماعات المهمة. وقد أبلغ أحد العملاء من داخل كنغ ستريت رئيسه من شعبة ف ٤ بأن مباحثات اللجنة التنفيذية تم نقلها من مكان عقدها إلى غرفة اجتماعات في أقصى طرف للمبنى.

لم يكن للغرفة نوافذ كما أنه لم يكن بها جهاز تلفون حسب معلومات العميل،

لذا لم تستطع شعبة التسهيلات الخاصة أن تحل مشكلة إيجاد الغطاء المناسب.

وفيما بعد في الستينات اتضح سبب عدم وجود تلفون في الغرفة،

فقد كان أول سر أباح به **أنتوني بلانت** للروس هو وجود شعبة التسهيلات الخاصة مباشرة

بعد أن تم إنجاز عملها في كنغ ستريت، فقاموا بتحذير الحزب وطلبوا منهم نقل التلفونات من الأماكن الحساسة. ولكن الحزب لم يصدق ذلك ويأخذه مأخذ الجد. وكانوا يتخذون الاحتياطات اللازمة في الحالات ذات الأهمية الاستثنائية .

ذهبت مع وينتربورن بسيارتي إلى كنغ ستريت وأخذنا ندرس الجدران الخارجية، في

محاولة للوصول إلى أفضل طريقة لمهاجمة الغرفة المقصودة.

فكان على الجانب الأيسر من الجدار الذي على الشارع نفق لمنجم فحم قديم ومهجور منذ مدة طويلة. بدا أنه أفضل موقع لنا.

وعرفنا من خلال العميل بأن هذا النفق يقود إلى غرفة الاجتماعات.

واقترحت على وينتربورن

أن نصنع باباً مزيفاً يشبه الباب الموجود في النفق

ثم نشبكه بالباب القديم

ونضع ميكروفوناً بينهما يغذي فتحة المفتاح.

هكذا بدأ وينتربورن بعمل الترتيبات اللازمة.

فقام أولاً بتصميم باب جديد لإغلاق مدخل النفق بواسطة نوابض

وكان من الواضح أنه يجب أن يدهن الباب بنفس لون الباب القديم،

الذي حوله الطقس إلى بني محروق..

فاتصلنا بمحطة الأبحاث في غارستون وأرسلنا لهم عينة من الدهان القديم أخذها وينتربورن بواسطة مفك في إحدى زياراتنا الروتينية هناك.

وقام رجال المحطة بتحديد نوع الدهان وقاموا بتحضير الكمية اللازمة.

أما نحن فقد استخدمنا بريموس معين، مع إغراق الباب في الماء، كي تظهر تأثير الطقس عليه. وقمت أنا بوضع الميكروفون في الباب الجديد،

ثم وصلته بأنبوب سمعي بلاستيكي بفتحة مفتاح الباب القديم.

ثم قمت بوضع عدد كبير من البطاريات لضمان عمل الميكروفون مدة ستة أشهر على الأقل بدون صيانة.

أما المُستقبل فقد وضعناه في علبة توزيع الهاتف في نهاية كنغ ستريت

التي كانت لحسن حظنا ضمن مدى الميكروفون، بحيث تتولى أسلاك الهاتف نقل

الإشارات مباشرة إلى الطابق السابع في مبنى ليكون فيلد.

كان عنصر المخاطرة في هذه العملية وضع الباب المزيف.

إذا كان يجب أن يتم ذلك، تحت أنظار الحزبين المتواجدين في المبنى الذين كانوا في حالة استنفار مستمرة إزاء أية شكوك .

لذلك قام وينتربورن بوضع خطة معقدة للغاية.

إذ قرر أن يتم وضع الباب في ساعة متأخرة من ليلة السبت،

في الوقت الذي يكون فيه رواد المسرح يملأون كوفنت غاردن (Covent Garden) . ورتب مع ضباط شعبتي ٢٢ وف ٤ التوافد مع زوجاتهم إلى كنغ ستريت من عدة جهات مختلفة في وقت محدد.

أما نحن فقد كان علينا أن نلتقي في مجموعتين تتظاهران بالسكر

في نفس النقطة التقينا هناك وتبادلنا التحيات.

وفي ظل هذه الضوضاء قام وينتربورن بإنجاز أربعة ثقوب صغيرة في مدخل النفق بواسطة مثقب يدوي . وخلال دقيقة واحدة بدأ جمعنا يتفرق ولكن وينتربورن استمر في عمله بأعصاب حديدية، إذ ثبت النابض وتخلص من بقايا عملية الثقب بواسطة منديله الخاص ثم وضع الباب في مكانه .

نجحت خطتنا التي أطلقنا عليها اسم تيبين، وبقينا على علم بكل ما يجري في اجتماعات الحزب الشيوعي الهامة، لمدة تزيد عن خمسة أشهر. ولكن لم يلبث الأمر أن اكتشف فقد صدف أن اكتشف أحد الشيوعيين إشاراتنا عندما كان يستخدم جهاز الراديو،

مما نبهه إلى وجود جهاز تنصت تم البحث في كل أرجاء البناء عنه،

ولحسن الحظ ان هيو وينتربورن كان يقيم في شقة في الطابق الأخير من مبنى ليكون فيلد بينما كانت زوجته تزور أقرباء لها في النرويج . فقد شعر باكتشاف عملية التنصت، وذهب فوراً إلى المكان ونزع الباب القديم وأعاده إلى المكتب وكأنه غنيمة حرب .

أما أكثر العمليات إثارة لنا فقد كانت في

مبنى لانكستر

الذي كانت **تعقد فيه مؤتمرات المستعمرات في الخمسينات والستينات**.

فعندما أصبح **ماكميلان رئيساً للوزراء** بدأت عملية التغيير الواسعة في قضايا المستعمرات. ولما كانت أم أي ٥ مسؤولة عن الأمن وجمع المعلومات الاستخبارية في كافة مناطق التاج البريطاني وقعت تحت ضغط متزايد لجمع المعلومات المناسبة أثناء المفاوضات التي كانت تجري حول مسائل الاستقلال. وكان من الصعوبة بمكان تغطية النشاط في مبنى لانكستر بالتدريج. ولم يكن باستطاعتنا التأكد من الغرف التي سيتم استخدامها، مما أدى إلى تشتيت قدرتنا على جمع المعلومات.

لذا اقترحت أنا ووينتربورن أن تقوم أم أي٥ .

بوضع نظام تنصت شامل للمبنى

بحيث يمكن استخدامه في أي مكان وزمان نريد.

وافقت وزارة المستعمرات بحماس على هذا الاقتراح .

وهكذا تم إعلان أن المبنى مغلق لإجراء بعض التجديدات لمدة أسبوعين،

فيما دخله فريق من شعبة ٢٢. وكنت أنا ووينتربورن

قد رسمنا مخططات الدارات الكهربائية التي تحدد خواص وموقع كل ميكروفون

أشرفنا على وضع هذا النظام الذي استمر في العمل في الستينات والسبعينات

كلما عُقدت في المبنى مباحثات دبلوماسية ذات مستوى عال .

غير أن التنصت على الحزب الشيوعي البريطاني ومراقبة وفود العالم الثالث

لم تكن في النهاية سوى عمل عابر في مجمل العمل الرئيسي لنا

وهو مواجهة الاتحاد السوفياتي وحلفائه.

وكانت أول عملية لي عن طريق شعبة أ٢ ضد الروس هي عملية «كوبر» CHOIR ،

التي بدأت في وقت سابق لانضمامي لـ أم أي ٥ بعدة أشهر،

عندما قام هيو وينتربورن بعملية للتنصت على القنصلية الروسية في بيزواتر رود Bayswater Road. وقد لاحت لنا الفرصة عندما خلا البيت المجاور للقنصلية

وأجريت فيه تصليحات استعداداً لاستقبال ساكن جديد.

دخلت أم أي٥ . إلى البناء تحت غطاء عمال ديكور،

حيث قام وينتر بورن بوضع أجهزة جديدة تسمى **ميكروفونات حساسة ذات مجس**)،

التي كان **جون تيلر** قد **طورها في مختبر دوليس هيل.**

كان الميكروفون الحساس كبيراً وذا حساسية عالية جداً،

بإمكانه الحصول على المعلومات مع تغطية كافية عبر الحائط.

وقد تم وضع الميكروفون داخل الجدار على بُعد ثماني عشرة بوصة ناحية الهدف.

حصلنا على هذا الوضع من خلال ثقب الجدار يدوياً ثقباً قطره يبلغ ربع بوصة وعلى مرات متباعدة كل مرة نصف بوصة.

وقد تركت آخر نصف بوصة من الثقب من الجهة الأخرى باتجاه الهدف

حيث قمنا باستخدام أدوات ثقب يدوية دقيقة جداً ريشة رقم (٦٠)

للحصول على فتحة صغيرة جداً لا ترى بالعين المجردة من داخل الغرفة .

ثم وُضع أنبوب خاص داخل الثقب يتصل بالميكروفون الذي يقوم بدوره بالتقاط الإشارة من الغرفة الهدف وبثها عبر أسلاك التلفون إلى مبنى ليكون فيلد، حيث تقوم مكبرات الصوت بإعادة بثه كصوت مسموع .

وبعد ستة أشهر من وضع الميكروفون الحساس في عملية «كوبر»،

توقف الميكروفون عن العمل.

وكان لدى أم أي ٥ عميلاً يعمل عامل ديكور لدى الروس في ذلك الوقت، يدعى نوتكين، ويلقب بالسنجاب».

أخبرنا توتكين بأن الغرفة الهدف تم دهانها.

ورغم أننا اعتقدنا أن الثقب الصغير جداً قد غطاء الدهان

إلا أننا لم نستطع أن نخفي حيرتنا، فقبل أن ننفذ العملية حصل وينتربورن على تفاصيل دقيقة لقياسات الجدار من نوتكين وبالاعتماد على هذه القياسات خطط لأن يكون هذا الثقب خلف الإفريز الذي يغطيه ورق الجدران البلاستيكي على ارتفاع أربعة عشر قدماً من الأرضية.

وقد بدا من غير المعقول أن يكون أحد قام بعملية الدهان من أجل إغلاق الثقب. لذا قررت أنا ووينتربورن إعادة العملية ثانية .

تطلبت منا العملية الجديدة جهداً كبيراً في التخطيط لها،

فقد انتهت عمليات التصليح في البيت المجاور لمبنى القنصلية.

وأصبح الآن مكتباً يضج بسيل من الزائرين،

والذين كان من ضمنهم بعض الروس الذين كنا نعرف أنهم يأتون للتأكد من الناحية الأمنية . لذا كان علينا أن نعمل في الليل ويصمت كامل.

وكنا بحاجة إلى سقالة للعمل على ارتفاع أربعة عشر قدماً، بالإضافة إلى قطعة من ورق الجدران والدهان لتصليح أي خراب.

وهكذا رتب وينتر بورن وجود سقالة جاهزة سهلة الاستعمال ومواد دهان سريعة الجفاف، طورت بشكل خاص من قبل محطة أبحاث البناء، تم تطويرها لحساب أم أي ٥،

بحيث يتم إدخالها إلى المكتب في طرود صغيرة كيلا نلفت انتباه القنصلية المتحفزة لأي إنذار.

وبعد أسبوع قمت أنا وجاغر بالذهاب إلى موقع في بيز واتر ستريت.

كان الطقس شتاء والشوارع مظلمة ومليئة بالناس العائدين من عملهم.

ومشينا بتسكع في الشارع باتجاه القنصلية ثم دخلنا العمارة المجاورة باستخدام أحد مفاتيح جاغر الشهيرة. وقمنا بفض الطرود التي كانت تحوي أدواتنا وجهاز استقبال صغير.

وفي هذه الأثناء تم إبلاغ مركز المراقبة مقابل القنصلية بمراقبة أية حركة

وأتخذنا الاحتياطات الفنية اللازمة لوقف العمل في حالة دخول أي شخص إلى الغرفة الهدف.

إن كل ميكروفون تستخدمه أم أي ٥. يتم تسجيله لدى الشعبة ،

التي تقوم بدورها بتسجيل مواصفاته الفنية، وتاريخ عمله، وأهم من ذلك موقعه.

وبينما كان جاغر يقوم بتركيب السقالة بصمت كامل،

كنت أدرس الخطة الخاصة بالجدار والتي أحضرناها معنا من جدول الشعبة أ،

ثم قمت بإنجاز القياسات اللازمة، ثم بدأنا بإزالة ورق الجدران .

كان عملاً شاقاً ومثيراً للأعصاب.

إذ كان علينا أن ننزع كل قطعة من الورق باليد قبل أن تسقط على الأرض،

ثم توضع في حقيبة خاصة وبعد حوالي الساعة وصلنا إلى الميكروفون،

الذي كان موضوعاً بعناية داخل الثقب،

وقمت بفصل الأسلاك والأنبوب البلاستيكي الذي يصل إلى الغرفة إياها .

وكان لريشة المثقب رقم (٦٠) تكنيك خاص

بحيث تقف عن العمل عند مسافة معينة لمنع دفع طبقة الدهان أو ورق الجدران إلى داخل الغرفة الهدف.

أدخلت الريشة في الثقب الكبير فيما بدأ جاغر بإدارة المثقب بهدوء شديد.

وكان هناك مقاومة. وأدركنا أن وراء هذه المقاومة أي شيء إلا طبقة من الدهان تبادلنا النظرات المليئة بالحيرة على ضوء السيارات العابرة.

ودار المثقب من جديد مرة أخرى. وأخرى وأخرى. وكانت هناك مقاومة.

ثم فجأة اختفت المقاومة. وسحبت المثقب بهدوء ناحيتنا وقام جاغر بوضع الريشة في علبة خاصة لإرسالها إلى ليكون فيلد لإجراء الفحوص اللازمة عليها.

ومن خلال الثقب الرئيسي سمعت صوت تكتكة ساعة في الغرفة الهدف.

إذن فقد أنجزنا مهمتنا كما صممت. وهكذا أعدنا وضع الميكروفون داخل الجدار وأعدنا وصل الأسلاك وتغطية الثقب بورق الجدران.

وبعد ذلك كان علينا أن نمضي ثلاث ساعات بانتظار أن يجف الورق كي نقوم بدهان المكان . وهكذا جلسنا ندهن فيما كان المستقبل يواصل بث الإشارات.

وحتى في منتصف الليل كان الطرفان يرقصان رقصة الحرب الباردة،

بينما تقوم سيارات واتشرز بملاحقة الدبلوماسيين. الروس عبر شوارع لندن المظلمة .

أما القنصلية فقد ظلت صامتة .

وفي اليوم التالي استمعت أنا وونتربورن في الطابق السابع لميكروفون كوبر».

لم يكن هناك ما يبثه. إذ أن المشكلة الوحيدة التي واجهتنا

أن لا أحد يتكلم في هذه الغرفة.

فكل ما أستطيع سماعه هو صوت الآلة الطابعة الرتيب.

وذهبنا سوية إلى الطابق السفلي لمعرفة نتيجة فحص الغبار على الريشة.

وأي كان عامل الديكور الروسي ذلك، فقد كان حي الضمير.

وقال وينتربورن وهو **يتطلع من خلال الميكروسكوب** : إنها ليست عملية دهان .

وبعد شهر أو أكثر استطاع نوتكين أن يلقي نظرة على الغرفة الهدف،

فاكتشف أن الجدار المشترك مع العمارة المجاورة

تم تغطيته بشكل كامل بطبقة من المواد المضادة للصوت.

وكان هناك مجرد موظفة واحدة تعمل على الآلة الطابعة .

لقد عرف الروس كما كنا نعرف بأن الجدران المشتركة عرضة للاختراق.

ولكن بقدر ما أعرف فإن الروس لم يعرفوا شيئاً عن الميكروفون الحساس،

إلا أنه يبدو محتملاً أنهم اكتشفوا الثقب الصغير جداً وأغلقوه .

في تموز ١٩٥٥ كان لي فرصة التعامل مع الروس مرة أخرى، وكانت هذه المرة في كندا.
فقد تلقت أم أي٥ . طلباً للمساعدة الفنية من الشرطة الكندية الخيالة التي كانت تخطط لإنجاز وضع ميكروفون داخل السفارة الروسية في أوتاوا.

حيث كان البناء القديم المؤلف من ثلاثة طوابق والمطل على نهر ريدو،

قد احترق بأكمله وكانت الشرطة الكندية تسعى لزرع معدات التنصت في المبنى أثناء عملية البناء، ولكنها كانت بحاجة لمعرفة آخر المنجزات في هذا المجال. لذلك اتصلت بنا .

استقبلني في المطار **تيري غيورنسي(مدير قسم التجسس المضاد)** في الشرطة الكندية الشعبة أ). وكان معه مساعده جيمس بينيت الويلزي الأصل.

كان غيورنسي طويلاً ونحيفاً ورغم لطفه كان عصبياً وذا طاقة قابلة للانفجار تدرب في بريطانيا على يد رجال أم أي ه وأم أي ٦، ثم عاد إلى كندا في مطلع الخمسينات

وهو يحمل قناعة بأن الشرطة الكندية غير مناسبة،

كونها شرطة بالزي الرسمي لعمل التجسس المضاد الدقيق.

وبدأ غيورنسي بتجنيد ضباط المخابرات المدنيين،

وأنشأ لوحده الشعبة ب

بحيث أصبحت واحدة من أحدث وأقوى وحدات التجسس المضاد في الغرب،

وكان لمبادراته دور كبير في التفكير البريطاني والأمريكي الذي طبق فيما بعد،

مثل إدخال الكمبيوتر لتسجيل تحركات الدبلوماسيين الروس في الغرب.

كان يعارض يعارض باستمرار التقيد بتقاليد الخيالة، التي كانت تؤمن بأن الشرطي ذو الزي الرسمي أكثر تفوقاً من زميله في الزي المدني .

ولم تكن الشرطة الكندية لوحدها تعاني من هذا التنافس بل كذلك الـ أف بي أي الأمريكية.
وكان غيورنسي يعتقد بأن البريطانيين يتصرفون بالشكل الصحيح في تفريقهم بين عمل رجل المباحث الجنائي، والمهارات المختلفة تماماً كالتي يتمتع بها ضابط المخابرات، كما أنه ناضل باستمرار من أجل الحفاظ على استقلالية الشعبة ب عن مجمل تنظيم الشرطة الخيالة .

وقد كلفه هذا الجهد عملياً وظيفته. إذ أن الخيالة لم يسامحوه على ذلك، فكان أن أبعد في النهاية إلى المملكة المتحدة ليعمل كحلقة وصل للشرطة الكندية الخيالة مع أم أي ٥.

وأم أي ٦ قبل أن يؤدي به وضعه الصحي في النهاية إلى التقاعد.

في عام ١٩٥٦ ، عندما قمت بأول رحلة لي إلى كندا لتقديم المساعدة في **عملية ديو ورم**، كان غيورنسي ما زال يتمتع بسلطات كبيرة. وأثناء العشاء في تلك الليلة الأولى من لقائنا وصف لي مكان العملية.

كانت الشرطة قد نجحت في تجنيد المقاول الذي يقوم بإعادة بناء السفارة الروسية،

وقامت بزرع ضباطها هناك تحت غطاء أنهم عمال في الموقع .

وبمساعدة ايغور غيوزنكو، وهو روسي كان يعمل داخل مبنى السفارة القديم ككاتب شيفرة

إلى أن هرب إلى الجانب الكندي عام ١٩٤٥ ، استطاع غيورني أن يحدد بدقة المنطقة الواقعة في الزاوية الشمالية الشرقية من المبنى على أنها المكان الذي ستكون فيه ال ك ج ب

والمخابرات العسكرية السوفياتية والأقسام السرية وغرف الشيفرة.

بعد دراستي للمخططات قررت عدم جدوى عملية ساتير

التي يتم من خلالها استخدام

ميكروفون يتم تشغيله من الخارج بواسطة ميكروويف.

فالمسافة من مكان الجهاز حتى أول أرضية آمنة بعيدة لدرجة لا تضمن لنا النجاح.

إذن لا بد أن تكون عملية سلكية. وللعمليات السلكية فائدة رئيسية واحدة.

فإذا كان بالإمكان وضعها فإنه من المستحيل غالباً كشفها.

وقررت أن أفضل طريقة للهجوم هي إخفاء الميكروفونات داخل إطارات الشبابيك الألمنيوم في الجانب المستهدف من البناء.

وكان غيورنسي قد تسلم نماذج من الإطار من المتعهد

كانت **الشبابيك تفتح بالسحب أي بدون مفاصل خارجية**

الأمر الذي يجعلها مثالية لإخفاء الجهاز،

وكان هناك فراغ طولي في الإطار حيث يتم قفل القطعتين معاً،

مما يعطي صوتاً جيد النوعية.

كما أن **الإطارات المعدنية للشبابيك**

ستقوم بامتصاص المجال الألكترومغناطيسي الذي يصدر عن الميكروفونات مما يجعل أمر كشفها من قبل رجال الأمن الأخصائيين صعباً.

المشكلة الرئيسية برزت في

كيفية إخفاء الأسلاك الموصولة بالميكروفونات.

كان سمك جدار مبنى السفارة قد تقرر تقريباً حوالي قدمين، أربع عشرة بوصة من الإسمنت المسلح، ثم فراغ بعرض بوصتين في الوسط، ومن ثم أربع بوصات من الحجر يكون من الناحية الخارجية للجدار وقمت بالتدقيق مع أم أي ٦ عن عمليات روسية لمسح الجدران .

فأبلغوني بأن الروس لا يقومون بمسح السطح الخارجي للجدار بل الداخلي فقط.

ويبدو أن الروس كانوا يعتقدون أنه من المعيب مسح الغلاف الخارجي لجدران مبانيهم. وهكذا أخبرت غيورنسي

بأن **أفضل طريقة هي في توصيل الأسلاك عن طريق الفراغ في وسط الجدار**

حيث تكون بعيدة عن أن تكتشف خلف طبقة من الإسمنت سمكها أربع عشرة بوصة،

خاصة وأن **ام أي ه قد طورت سلكاً رفيعاً يطلق مجالاً الكترومغناطيسياً محدوداً جداً.**

وعندما بدأ البناء كان علينا أن نجد طريقة تخفي فيها الأسلاك عن فرق الأمن الروسية التي تتفقد عمل المقاول الكندي.

قمنا بدفن لفات كبيرة من الأسلاك في النقاط الثماني المحددة.

وفي كل ليلة ما أن يتم إنجاز مرحلة من البناء،

حتى يقوم رجال الشرطة الخيالة **بسحب كل**

ملاحظة :(للأسف النسخة المصورة من الكتاب لايوجد فيها تكملة لهذا الجزء)

نستطيع أن نحل الكثير من الشيفرات الآن - وليس لدينا أجهزة كمبيوتر تستطيع أن تقوم بالعمل. وسنحصل عليها قريباً، بالطبع، ولكن أي مساعدة في الوقت الحاضر ستربكنا .

سألت الكساندر ما هو الهدف الرئيسي الآن. وبدا أنه غير راض عن سؤالي المباشر.

لكنه أجاب :

وحسن . هناك الكثير من الأهداف التي نسعى لتحقيقها وكلها ملحة .

قلت بعناد: «نعم! ولكن إذا أردت أن تحدد هدفاً واحداً مهماً لليوم،

فأي واحد تختار؟ .

وألقى الكساندر نظرة على دينهام وقال :

وزارة الخارجية تضغط علينا منذ عدة أشهر للحصول على شيء من الشيفرة،

ولم نحصل إلا على نتف بسيطة. وهذا كل ما نستطيعه، لأن عملنا ليس متواصلاً.

جاء ربيع عام ١٩٥٦ ،

وبدأ التوتر بين بريطانيا ومصر يتصاعد بسرعة

عندما اتخذ عبد الناصر إجراءات أدت إلى أزمة السويس

في أواخر ذلك العام.

سألت: ما نوع آلة الشيفرة التي يستخدمها المصريون؟».

أجابني دينهام : إنها **هاجلين.**

وهي آلة من صنع سويسري كانت مفضلة لدى العالم الثالث في الخمسينات .

وهكذا رتبت عملية استعارة جهاز من نوع هاجلين من قيادة الاتصالات الحكومية،

وعدت به إلى لندن بسيارتي ووضعت الجهاز في إحدى شقق أم أي ه

بمساعدة ليسلي جاغر في منطقة ريجنت،

ثم بدأت تجاربي

لأرى فيما إذا كانت نظريتي عملية أم لا .

كان جهاز هاجلين آلة تعتمد على لوحة مفاتيح،

مع شريط يحتوي رسالة الشيفرة الذي يخرج أحد جوانبها.

ان مبدأ عمل الآلة بسيط جداً.

إذ يوجد هناك سبعة دواليب دوارة بواسطة تيار كهربائي،

تؤدي ميكانيكياً إلى إنتاج أشكال عشوائية حسب برمجة الآلة.

وكل صباح يبدأ مسؤول الشيفرة الذي يعمل على آلة هاجلين في أية سفارة

يوصل التيار لتتحرك الدواليب قبل أن يبدأ البث.

وشعرت أنه

إذا ما تم التنصت على صوت بدء عمل الآلة هذه بواسطة الميكروفونات،

فإنه سيكون بإمكان قيادة الاتصالات الحكومية

استخدام هذا الصوت المعرفة

ما يسمى بالصوت الأساسي للآلة الذي يساعد على حل الشيفرة فيما بعد.

وكان الكساندر و دينهام قد أخبراني أنه

إذا ما تم تحديد ثلاثة أو أربعة دواليب

فإن إمكانية حل الشيفرة تصبح ممكنة جداً .

قمت بوضع

مجموعة من الميكروفونات ذات الحساسية العالية في مسافات مختلفة

بعيداً عن آلة هاجلين،

بالإضافة إلى ميكروفون حساس في الجدار خلف الآلة.

وقد تم وصل كل ميكروفون على حدة مع جهاز أوسيليسكوب

بحيث يتم تحويل الأصوات المسجلة إلى ذبذبات مرئية على الشاشة.

كما قام ليسلي جاغر **بتركيب جهاز تصوير لالتقاط صور للشاشة** .

ثم شغلت الآلة لتتحرك الدواليب

مع الأخذ في الاعتبار وضع الدواليب قبل وبعد التشغيل.

وبدأت الآلة بالعمل.

ثم أرسلت النتائج إلى دينهام في تشيلتهام لتزويدي بأي تعليق منه ...

بعد تظهير الأفلام، وجدت أن ما زودتنا به شاشة الأوسيليسكوب

يكفي لإعطائنا مفتاحاً لحل لغز آلة هاجلين،

كما أوضحت حركة ثلاثة دواليب على الأقل من سبعة.

ثم قررت أن أقوم بمزيد من التجارب باستخدام جهاز ساتير»

الذي أعطى صوتاً أقل حساسية.

كما سجلنا حركات على الدواليب،

ولكنها كانت مضللة.

أرسلت النتائج إلى تشيلتنهام مع مراسل.

وبعد يوم واحد اتصل بي دينهام تلفونياً قائلاً: «إنها رائعة يا بيتر».

شعرت من صوته بأنه مندهش تماماً كالمجنون أضاف:

«**إن ميكروفونات الصوت هي الأفضل.**

بإمكاننا أن نحصل دولابين أو حتى ثلاثة باستخدام هذه الميكروفونات.

أما اللاسلكي فإنه ليس جيداً،

ولكن مع الوقت أعتقد أننا نستطيع أن نحصل على شيء ما منه .

ورغم أن خط الهاتف لم يكن واضحاً بشكل جيد فقد سمعته يسأل:

ومتى يمكن أن تبدأ العمل ؟.

أجبته: وعندما تحصلون على الموافقة من الجهات العليا

في اليوم التالي أرسلت قيادة الاتصالات الحكومية رأي فريولي من قسم التخطيط إلى لندن. وكان رجلاً عملياً يجسر الهوة بين ذكاء الكساندر ودينهام،

والمتطلبات الإدارية المنظمة ضخمة مثل قيادة الاتصالات الحكومية.

كما كان ملحدا يعتقد بأن البشرية ستقع يومياً ما تحت حكم الكمبيوتر،

وبذلك يزول اللامنطق. ولا شك أن هذا كان شيئاً من المثالية الطفولية في ظل سنوات الحرب الباردة. ومع ذلك أصبحنا صديقين رغم أنني بقيت في أعماقي لا منطقياً أؤمن بأن الوحي أو الحدس سيأتي فجأة ليحل لي مشاكلي.

عندما جلست مع وينتربورن وفريولي **لنخطط للعملية ضد السفارة المصرية فى كندا،**

كنا ندرك أن أفضل وسيلة هي أبسطها **واتصلت بوحدة التحقيقات فى مكتب البريد**

وحصلت على قائمة كاملة لكافة توصيلات الهاتف داخل السفارة

وبدا أنه **لا بد أن يكون هناك جهاز تلفون داخل أو قرب غرفة الشيفرة،**

لذلك قررنا وضع أسلاك الهاتف تحت تصرفنا واستخدام ميكروفون سلك على حدة داخل الفراغ.

وكان كل سلك معلم بشكل عشوائي من واحد إلى عشرين لتضليل السوفييت

في حالة اكتشاف الأسلاك.

وفي الحقيقة فقد كانت العملية لمسة جميلة بل نكتة.

كان السوفيات سيفضلون تمزيق البناء بعد الانتهاء منه بحثاً عن هذه الأسلاك الأشباح.

غير أن أصعب جزء في العملية كلها كان عملية وصل الأسلاك بالميكروفونات .

فقد وضعت الشبابيك في الجهة الشمالية الشرقية مكانها،

بإشراف ضابط شرطة كندي لضمان وضع الإطارات بالشكل المناسب في المكان المناسب. فيما تم رفع الأسلاك عبر الفراغ بشكل تدريجي أثناء أشهر البناء.

أما عملية وصل هذه الأسلاك بالميكروفونات داخل إطارات الشبابيك

فمن المستحيل إخفاؤها.

ويتطلب إنجاز هذا العمل وجود مهندس يعمل خارج المبنى على ارتفاع أربعة طوابق بواسطة سقالة قام بهذا العمل أحد رجال غيورنسي الفنيين،

وهو مهندس شاب نفذ عمله بدقة كاملة.

وقد تسلق الجدار في الظلام الدامس وفي درجة حرارة تصل إلى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر وهو يحمل أدواته في حقيبة كتف ثم قام بتوصيل الثمانية ميكروفونات بالأسلاك وتأكد من صحة وقوة التوصيل .

وما أن تمت عملية التوصيل حتى قام الفنيين في الشرطة الكندية بحفر نفق طوله عشرون ياردة بين بيت مجاور للسفارة تابع للشرطة وموقع دفن الملفات السلكية في أساس البناء

ثم تم تغذية الأسلاك الموصولة بمكبرات صوت مخبأة في كراج البناية بالطاقة اللازمة من خلال مصادر قيادة الشرطة الكندية.

وعندما فحصت هذه الميكروفونات كانت جميعها تعمل بشكل جيد

وفي هذا الوقت بالذات، عندما شارفت هذه العملية الناجحة تماماً على الاكتمال

وقعت الكارثة. فعندما كان أحد العمال يقوم بوضع خزان وقود بجانب الجدار الخارجي للزاوية الشمالية الشرقية من مبنى السفارة الجديد،

و دون أن يعلم بأنه في هذه النقطة بالذات تمر السلسلة الكاملة من الأسلاك الثمانية تحت الأرض لتصل إلى مبنى الشرطة

قام بتثبيت المشابك في الأرض لدعم أنبوب التهوية،

وكان أحدها يخترق بشكل مباشر مجموعة الأسلاك الثمانية

ليقطعها جميعاً مدمراً بذلك كل التوصيلات مع الميكروفونات .

لم يكن أمامنا أي خيار سوى أن نعود لدخول البناء.

ولكن العملية هذه المرة أكثر خطراً.

فقد كان المبنى في المراحل النهائية والروس على وشك الإقامة فيه.

ولكن هناك مغامرة في أن لا يصدق الروس بأن رجال الشرطة السريين

هم مجرد عمال إذا ما اكتشفوا في الموقع ثانية.

كانت ليلة باردة جداً أيضاً. دخلوا بصفتهم السابقة كعمال.

واستطاعوا إعادة وصل ستة أسلاك فقط.

ورغم أننا فقدنا ميكروفونين إلا أن الستة الأخرى كانت تعمل

في ست غرف متفرقة من الغرف المستهدفة، وهكذا تم استدراك الكارثة.

وما أن أقام الروس في سفارتهم حتى بدأنا نسمع الأصوات من بعض هذه الميكروفونات.

كان رجال الاستخبارات العسكرية يناقشون توزيع أثاثهم في الغرف.

وبعد ٤٨ ساعة قاموا فجأة بإخلاء مكاتبهم.

وغادر السفير إلى موسكو،

ودخل فريق من العمال الروس إلى السفارة

أدركت من المواد التي كان يتم إدخالها إلى السفارة

بأنهم كانوا يبنون مكاتب للاستخبارات العسكرية و ال ك ج ب في مكان آخر من السفارة، باستخدام مولد كهربائي مستقل.

وبعد ذلك بوقت قصير

بدأت الميكروفونات تبث الإشارات إلى قيادة الشرطة

لتدلنا على وجود أصوات فريق الأمن الفني الروسي

وهو يقوم بتفقد البناء.

وكانت قيادة الشرطة حددت وصولهم إلى البناء قبل أيام عديدة،

ولكنها لم تتأكد من ذلك إلا عندما وصل عملهم إلى الزاوية الشمالية الشرقية.

كانوا يدقون على الجدار المعرفة الفراغات المحتملة فيه،

ويفحصون السقوف بواسطة أجهزة التدقيق.

أمضوا فترة عشرين يوماً وهم يدققون في إجراءاتهم الأمنية في الغرف التي تم وضع الميكروفونات فيها،

وكأنهم كانوا يعرفون بوجود أجهزة تنصت إلا أنهم

لم يستطيعوا أن يكتشفوا الأسلاك ولا الميكروفونات.

وحسب المقاييس النموذجية بالنسبة لسفارات الاتحاد السوفياتي في العالم، كان البناء صغيراً، ومع ذلك ورغم ازدحام العمل داخلها،

فقد بقيت الزاوية الشمالية الشرقية غير مستخدمة في الأعمال القنصلية،

حتى بعد مغادرة فريق الأمن الفني.

وبعد ذلك بثمانية أعوام وصل الفريق الأمني الفني ثانية إلى أوتاوا.

وذهبوا فوراً إلى الغرف التي تحوي الميكروفونات،

وخلال ساعة واحدة فقط اكتشفوا الميكروفونات والأسلاك.

وكانت السفارة تضم ٤٢ غرفة.

ومع ذلك فإن عمل الفريق الفني اقتصر على البحث في الغرف الست إياها.

ولا بد أنهم كانوا يعرفون أين يجب أن يبحثوا .

ومثل عملية «كوبر»، كان هناك ما يثير قلقي في عملية وديو ورم».

وكان سبب هذا القلق يعود بالطبع إلى الخذلان.

فلقد كانت العملية نجاحاً تقنياً هائلاً،

ولكن أشهر الصبر الطويلة لم تزودنا بأية معلومات استخباراتية.

وبالطبع، كان تفسير فشل العملية هو الافتراض بأن الروس قاموا بإعادة بناء قسم الأمن داخل السفارة في وسط البناء كما كان الأمر عليه في المبنى القديم.

ولكن إذا ما حللنا طريقة تزويد البناء بالطاقة فإن هذا الأمر يبدو مغامرة معقولة.

إن الحقيقة القائلة بأنهم قرروا إعادة القسم الأمني إلى نفس موقعه

وحصره في الوسط، ليس قراراً استثنائياً.

فلقد أدرك البريطانيون والأمريكيون، ولا بد أن يكون الروس

قد أدركوا أيضاً،

بأن أفضل طريقة

لحماية القسم الأمني في السفارات

من هجمات الميكروفونات

هي بوضعه في العمق، مزوداً بطاقة خاصة به.

ولكن الثقة التي عمل بها فريق الأمن الفني في الزاوية الشمالية الشرقية،

حيث بدا أنهم يفتشون عن شيء يعرفون بوجوده، جعلت الشك يستهلك تفكيري .

تكرر نفس الشيء في كندا مرة أخرى.

فقد منحت الحكومة البولندية تصريحاً بإقامة قنصلية في مونتريال.

فاشتروا بيتاً قديماً وبدأوا عملية التصليحات.

وفي كانون ثاني ١٩٥٧ ذهبت إلى مونتريال للمساعدة في وضع ميكروفون هناك.

وقد عرفت الشرطة الكندية هوية ضابط المخابرات البولندية وموقع غرفته،

ولكن البناء كان تم ترتيبه بشكل نهائي، لذا أسقطنا أي عملية سلكية.

وبدا لنا أن ميكروفون ساتير هو المناسب.

فقد تم تغيير شبكة الأسلاك في البناء ووضعها عبر أنابيب معدنية.

وهكذا قدرت، كما فعلنا في عملية وديو ورم وإطارات الشبابيك،

بأنه سيكون من المستحيل كشف ميكروفون ساتير،

إذا ما وضعناه قرب هذه الأنابيب.

وبعد **أسبوعين من وضع الميكروفونات**

طلب البولنديون فجأة من المقاول تغيير الجدار الذي كان يحوي ساتير

واستبداله بآخر جديد.

وقد استطاعت الشرطة الكندية استرداد أحد هذه الميكروفونات

أما الآخر فقد استولى عليه البولنديون.

وفيما بعد علمت الشرطة الكندية من مصدر داخل السفارة البولندية

بأن **الروس كانوا قد حذروا البولنديين** من إمكانية وجود مثل هذه الميكروفونات.

وهكذا للمرة الثانية يسبقنا الروس بخطوة .

لم تكن هذه الأشياء لتحدث فقط في كندا. فلقد كانت هناك عملية مول، في أستراليا.

وقد بدأت بزيارة السير **تشارلز سبراي رئيس منظمة المخابرات الخارجية الأسترالية**

إلى لندن عام ١٩٥٩ إذ تلقيت مكالمة تلفونية لإبلاغي بأنه يود مقابلتي .

وعين سبراي رئيساً للمخابرات الخارجية الأسترالية منذ تأسيسها عام ١٩٤٩ .

كان قبل ذلك مدير المخابرات العسكرية،
حيث قام بالتعاون مع مجموعة من الرسميين الذين يوافقونه الرأي بالعمل
من أجل إيجاد منظمة لجمع المعلومات الاستخبارية على نمط أم أي٥ ..
قاد سبراي نشاط المنظمة لمدة تسعة عشر عاماً بيد حديدية،
وأصبح أحد أبرز رجال المخابرات في فترة ما بعد الحرب.
ولم تتراخ قبضته الحديدية على المنظمة إلا في أواخر أيام عمله عندما بدأ يفقد الصلة بموظفيه ...

كان سبراي يحب زيارة لندن. **خدم في الجيش الهندي في منطقة ممر خيبر** في الثلاثينات.
وقد ساعدته خلفيته التي تجمع بين الضابط العسكري والسيد المهذب
في أن يكون له أصدقاء كثيرون في أوساط مجتمع عالم المخابرات البريطاني.
كما أنه لم يكن **متملقاً.**
وعند التقائي به دخل فوراً في بحث الموضوع.
فأخبرني بأنه كان منذ فترة قصيرة في كندا حيث أوصاه تيري غيورنسي
بالتحدث معي في عملية وضع ميكروفون ضد الروس ..
وأوضح لي بأنه منذ هرب عائلة بتروف،
وهما زوج وزوجته كانا يعملان معاً في قسم الشيفرة في السفارة الروسية في كانبيرا،
قام الروس بقطع العلاقات الدبلوماسية ووضعوا سفارتهم تحت رعاية سويسرا.
ولكنهم عادوا مؤخراً لبحث إعادة فتح السفارة.
أما المخابرات الخارجية الاسترالية فإنها تريد أن تضع ميكروفونات في السفارة
قبل أن يعود الروس إليها.
وبعد دراسة الخطط نصحت سبراي بوضع ميكروفون ساتير الذي أطلعته عليه.
ان أفضل مكان لوضع ساتير كان إطار الشبابيك الخشي،
وأرسلت أحد مساعدي إلى أستراليا للإشراف على تفاصيل العملية.
تم وضع الميكروفون بنجاح في مكانه،

ولمزيد من الاحتياط طلبت من المخابرات الخارجية الأسترالية

عدم استخدام الجهاز لمدة سنة كاملة.

المواجهة احتمال أن يقوم الروس باستخدام الميكروويف في الثلاثة أشهر الأولى من إقامتهم في السفارة.

وتماماً كما حصل في عملية «ديو ورم»،

فقد نجحت عملية «موله نجاحاً فنياً كاملاً،

ولكن لم يتم الحصول على أية معلومات استخبارية نهائياً.

فقد كان كل صوت في غرفة إقامة رجل ال ك ج ب مسموعاً،

حتى صوت تقليبه الأوراق وصوت قلم الحبر وهو يكتب.

ولكنه لم ينطق ولو بكلمة واحدة.

وهكذا كان الفشل مصير عملية «مول أيضاً.

كان من الصعب جداً تنفيذ الأوامر المعطاة لأم آيي ٥. نظراً لضعف امكانيتها في فترة الخمسينات. وبالنتيجة فإن ضغط العمل على الضباط الأفراد،

وخاصة أولئك الذين يعملون في شعبة أ٢

والذين أصبحوا مشغولين بحجم عملياتي واسع جداً،

أصبح صعب الاحتمال.

وكانت موجات من الأوراق تمر عبر مكتبي تحوي الخطط والخرائط،

والمعلومات والتقارير الفنية.

وكان من الصعب غالباً التأكد في لحظة معينة أي من العمليات انتهت

وأيها ما زالت في مرحلة التكوين

إن جمع العمليات عمل مربك بطبيعته حتى في أحسن الحالات.

ولكن يوجد دائماً حيز في عقل ضابط المخابرات المحترف

يحتفظ فيه بقدرته على متابعة النتف الصغيرة

والتقاط أطراف الخيوط التي لسبب أو لآخر تثير أسئلة لا جواب لها،

فقد كانت عمليات «كوير»، «ديو ورم» و «مول»،

تشغل دائماً ذلك الحيز الصغير،

تغطي عليها العمليات الحالية،

ولكنها لم تتعرض للنسيان مطلقاً،

حتى بدأت فجأة باتخاذ أهمية مميزة بعد سنين طويلة .

هنا انتهت الحلقة الثالثة